Rebellions and seditions during the Sultanate of Zahir Barquq(784-791 AH/1382-1389 AD)

Dr. Ghada Hassan [*]
Dr. Wafaa Sarm**
Hiba Aboud***

(Received 23 / 6 / 2020. Accepted 13 / 10 / 2020)

□ ABSTRACT □

Egypt and the Levant saw at the end of the eighth AH /14th century AD, a lot of strife and internal conspiracies driven by the personal ambitions of the princes in order to take over the throne of the Sultanate, but these temptations and rebellions in the Mamluk era took on the character of the ethnic conflict between the Turkish Mamluk and the Circassian Mamluks for Control of the Mamluk Sultanate, especially in the Sultanate of Dhahir, Barquq al-Awalah (784-791 AH / 1382-1389 AD), when one of these rebellions managed to oust him from the Sultanate in 791 AH / 1389 AD..

Key words : Sultan al-Zahir Barquq, the rebellion of Prince al-Tanbanga, the rebellion of the Caliph al-Mutawakkil Abbasid, the rebellion of Prince Mantash and Prince Yalbaga al-Nasiri.

[*]**Associate professor, Department of History, Faculty of Art and Humanities, Tishreen University Lattakia, Syria**
**** Associate professor, Department of History, Faculty of Art and Humanities, Tishreen University Lattakia, Syria**
***** Postgraduite Student, Department of History , Faculty of Art and Humanities, Tishreen University, Lattakia, Syria**

التمردات والفتن خلال سلطنة الظاهر برقوق (784-791هـ/1382-1389م)

د. غادة حسن*

د. وفاء صارم**

هبة عبود***

(تاريخ الإيداع 23 / 6 / 2020. قبل للنشر في 13 / 10 / 2020)

□ ملخّص □

شهدت مصر وبلاد الشام في نهاية القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، كثيراً من الفتن والمؤامرات الداخلية التي تحركها الأطماع الشخصية للأمراء من أجل تولي عرش السلطنة، إلا أن هذه الفتن والتمردات في العصر المملوكي اتخذت طابع الصراع العرقي بين المماليك الأتراك و المماليك الجراكسة من أجل السيطرة على السلطنة المملوكية لاسيما في سلطنة الظاهر برقوق الأولى(784-791هـ/1382-1389م) حين تمكنت أحدى هذه التمردات من خلعه عن السلطنة سنة 791هـ/1389م.

الكلمات المفتاحية: السلطان الظاهر برقوق، تمرد الأمير الطنبغا السلطاني، تمرد الخليفة المتوكل العباسي، تمرد الأمير منطاش والأمير يلبغا الناصري.

* أستاذ مساعد- قسم التاريخ- كلية الآداب والعلوم الإنسانية- جامعة تشرين- اللاذقية- سورية.

**أستاذ مساعد- قسم التاريخ- كلية الآداب والعلوم الإنسانية- جامعة تشرين- اللاذقية- سورية.

***طالبة دكتوراه- قسم التاريخ- كلية الآداب والعلوم الإنسانية- جامعة تشرين- اللاذقية- سورية.

مقدمة:

حاول المماليك الجراكسة طوال القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي الوصول إلى الحكم ونجحوا في هذا الأمر في عهد خلفاء الناصر محمد بن قلاوون حين تمكن الأمير الجركسي برقوق من خلع السلطان أمير حاجي بن شعبان من أحفاد الناصر محمد بن قلاوون وتولى السلطنة سنة 784هـ/1382م.

عمل السلطان برقوق منذ توليه الحكم على إرساء قواعد دولته ولم يكن ذلك بالأمر السهل، فقد ظل طوال حكمه في كفاح مستمر ضد المماليك الترك ومؤامراتهم المستمرة ضده للقضاء عليه، فبدأت سلطنته الأولى بمعارضة سياسية وعسكرية من أهمها ثورة الأمير الطنبغا السلطاني نائب أبلستين، تبعها ثورة الأمير منطاش نائب ملطية بالتعاون مع الأمير يلبغا الناصري نائب حلب، واللذان تمكنا من جمع جيوش بلاد الشام والتوجه بها إلى القاهرة لخلع السلطان الظاهر برقوق عن العرش سنة 791هـ/1389م.

أهمية البحث وأهدافه:

تأتي أهمية هذا البحث من خلال محاولته رصد أحوال الدولة المملوكية في مرحلة من أدق مراحلها، وما طرأ عليها من تغيرات، ومحاولة معرفة الدوافع الحقيقية للاضطرابات الداخلية، والفتن والتمردات التي قامت خلال سلطنة الظاهر برقوق والتي لا غنى عنها لفهم حقيقة الأوضاع في تلك المرحلة.

منهجية البحث:

سيعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي، وذلك بجمع المادة العلمية المطلوبة من مختلف المصادر والمراجع والمقالات المتعلقة بالموضوع، وتحليلها ومقارنتها بما يماثلها من الكتابات للخروج بفكرة تقودني للوصول إلى الحقيقة العلمية التاريخية ما أمكنني ذلك، وسيستند البحث على مصادر ومراجع مهمة ومتنوعة لمؤرخين عاصروا الأحداث.

النتائج والمناقشة:

1- السلطان المملوكي الظاهر برقوق:

أغلب المصادر التي عدت إليها في كتابة هذا البحث كتبت عن الظاهر برقوق وذكرت أنه من قبيلة "كسا" الجركسية[1]، ولم تحدد سنة ولادته باستثناء المقريزي الذي ذكر في روايته سنة 784هـ/1382م استلام برقوق السلطة والقائم بدولة الجراكسة أنه ولد تخميناً سنة 741هـ/1340م، وقد استند المقريزي على هذا العام لأنه ذكر في سنة 798هـ/1396م أن عمره سبع وخمسون سنة.[2]

[1] كسا: هي إحدى القبائل الجركسية الرئيسية الأربع (تركس، آركس، كسا، آص) وقد سكنت تلك القبائل في القسم الشمالي الغربي من القوقاس وقسماً من الشاطئ الشرقي للبحر الأسود، وقد خص الروس قبيلة كسا باسم "سرقسيان" في زمن متأخر، انظر ابن تغري بردي(جمال الدين أبو المحاسن يوسف)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تح: محمد حسن شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ط، 1992م، ج11، هامش(2)، ص184.

[2] المقريزي (تقي الدين أحمد)، السلوك لمعرفة دول الملوك، تح: محمد مصطفى زيادة، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط1، 1936م، ج3، ق2، ص463، 476.

أما نشأته في بلاد الجركس فإنها غير معروفه كغيره من سلاطين دولة المماليك، فالمصادر العربية لم تشر إلى طبيعة الحياة التي عاشها برقوق في بلاد الجركس، أما المصادر الأجنبية المعاصرة التي اعتمد عليها الدكتور حسام الناطور في رسالته" دولة المماليك في عهد السلطان الظاهر برقوق" فيروي من خلالها أن برقوق كان يعيش في بلدة "زيخا" ""Zicha إحدى المقاطعات الروسية لوالدين مسيحيين، وكان برقوق مسؤول عن إطعام الخنازير في إحدى المزارع، وأنه اختطف وبيع لأحد تجار الرقيق الذي بدوره جلبه إلى مدينة " كفا" الواقعة على البحر الأسود بالقرب من القفقاس، وعندما بلغ العشرين من عمره بيع في أحد أسواق الرقيق ببلاد القرم "بسوداق"[3]، واشتراه هناك التاجر الخواجا فخر الدين عثمان بن مسافر[4] الذي بدوره جلبه إلى أسواق العبيد المصرية سنة 764هـ/1363م حيث اشتراه هناك الأتابك يلبغا العمري[5]من الخواجا عثمان في القاهرة. [6]

يذكر المقريزي أن اسمه الحقيقي الطنبغا وليس برقوق والأمير يلبغا هو الذي أطلق عليه برقوقاً لنتوء في عينه[7]، ولكن هذا ليس مؤكداً وينفي الأمر ابن تغري بردي الذي ذكر أن والد برقوق وأقرباءه عندما قدموا إلى القاهرة سنة 782هـ/1380م واستقبلهم برقوق والامراء نادوه باسم برقوق، وهذا يدل على ان اسمه الحقيقي برقوق.[8]

أما نسبه فإننا نجد أن غالبية المماليك قد نسبوا إلى غير الآباء والأجداد لأنه في الغالب لم يكن معروف أسماء آبائهم وأجدادهم وإنما ينسبون إما إلى السلطان أو الأمراء الذين يشتروهم فيقال مثلا لاجين المنصوري نسبة إلى المنصور قلاوون، أو ينسبون إلى من باعهم من التجار، وهكذا كان الحال بالنسبة لبرقوق فقد نسب إلى التاجر الذي اشتراه الخواجا فخر الدين عثمان فيقال له برقوق العثماني، ونسب إلى الأمير الذي اشتراه من التاجر وهو الأمير يلبغا العمري فيصبح برقوق العثماني اليلبغاوي، ولما كبر وأصبح معروفاً بين الناس لقب ب(سيف الدين برقوق العثماني اليلبغاوي).

التمردات و الفتن التي واجهت السلطان برقوق:

عمل كل سلطان على تثبيت قواعد سلطنته بمكافأة أعيان الدولة من أنصاره وأعوانه، وتعيين أشخاص يثق بهم في المناصب الإدارية، ومعاقبة خصومه ومعارضيه بالنفي أو العزل أو مصادرة الأموال، ولم يخرج الظاهر برقوق عن هذا

---

[3] الناطور(حسام محمد اسماعيل)، دولة المماليك في عهد السلطان الظاهر برقوق، إشراف د. مصطفى الحياري، أطروحة دكتوراه، الجامعة الأردنية، 1998م، ص16، 17.

[4] فخر الدين عثمان بن محمد بن أيوب بن مسافر الأسعردي تاجر في المماليك جلب برقوق، وفيما بعد جلب والد برقوق إلى ابنه في القاهرة، توفي سنة 783هـ/1381م، انظر ابن حجر العسقلاني(شهاب الدين أحمد): أنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ، دار الكتب العلمية، بيروت ،1986م، ج1، ص247.

[5] الأمير يلبغا العمري الخاصكي الأتابكي: أحد أمراء المماليك الأتراك وأستاذ الملك الظاهر برقوق، أصله من مماليك الملك الناصر حسن حفيد الناصر محمد بن قلاوون، وهو الذي قتل أستاذه سنة 762هـ/1360م واستمر في منصبه حتى قتله مماليكه سنة 769هـ/1367م. انظر ابن تغري بردي(جمال الدين أبو المحاسن يوسف)، الدليل الشافي على المنهل الصافي، تح: فهيم محمد شلتوت، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1998م، ج2، ص793، عبد السيد(حكيم أمين)، قيام دولة المماليك الثانية، تقديم: محمد مصطفى زيادة، دار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 1966م، ص31، 32.

[6] المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج3، ق2، ص476، الناطور، دولة المماليك في عهد السلطان الظاهر برقوق، ص16، 17.

[7] المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج3، ق2، ص463، 476، طرخان (ابراهيم)، مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط1، 1960م، ص7.

[8] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج11، ص149.

الأمر فما إن تولى السلطنة حتى عين الأمير الجركسي إيتمش البجاسي في منصب الأتابكية، بالإضافة إلى وظيفته الأساسية رأس نوبة، والأمير جركس الخليلي في وظيفة أمير آخور.[9]

وجد برقوق نفسه أمام قوتين من المماليك الأتراك وهم اليلبغاوية(مماليك الأمير يلبغا العمري) و الأشرفية (مماليك السلطان الأشرف شعبان) فكيف واجه السلطان برقوق هذه القوى؟

في البداية اتبع برقوق تصرفاً حكيماً فلم يبدأ حكمه باضطهاد كبار الأمراء الترك، وإنما على العكس فقد عمل على استقطابهم إلى جانبه، وإشراكهم معه في إدارة شؤون البلاد وخاصة من أعانوه في الوصول إلى السلطة كالأمير سودون الشيخوني[10] الذي اختاره نائباً للسلطة في مصر، كذلك عفوه عن الأمير يلبغا الناصري وجعله على نيابة حلب، والأمير الطنبغا الجوباني[11] الذي عينه أمير مجلس.[12]

هذه السياسة جعلت من السلطان برقوق يتفرغ لمواجهة الأتراك الأشرفية، من خلال تجريدهم من إقطاعاتهم ورواتبهم وطردهم من الخدمة، مبرراً إجراءه هذا بقوله" هؤلاء خونه قد خانوا استاذهم الملك الأشرف وأعانوا على قتله بشيء يسير أخذوه من المال، بعدما عاشوا من نعمته دهرا طويلا، فلا خير فيهم" .[13]

والواقع أن هذا الإجراء من جانب السلطان برقوق لم يكن الهدف منه سوى إبعاد المماليك الأشرفية وقطع مرتباتهم وترقب برقوق نتيجة هذه السياسة أن يقوم الأتراك بالتمرد على حكمه، لذلك قرر أنشاء عصبية خاصة يعتمد عليها في مواجهة خصومه ويؤمن أهدافه، فاستقدم أعداداً كثيرة من المماليك الجراكسة بحيث بلغ عددهم في فترة حكمه الأولى نحو ثلاثة ألاف مملوك، ووصل هذا العدد إلى خمسة آلاف في نهاية حكمه ليحلوا مكان الأتراك.[14]

على أن هذا النهج الذي اتبعه برقوق وهو شغل الوظائف الحكومية الهامة بأتباعه، وترقيته لكثير من مماليكه، وحرمان المماليك الأشرفية من أرزاقهم، وإحلال بني جنسه مكانهم، أدى إلى تخوف الأمراء الأشرفية، وقيام العديد من التمردات والفتن التي اتخذت طابع الصراع العرقي بين المماليك الأتراك والجراكسة من أجل السيطرة على السلطنة[15]، وهنا سوف يتم عرض أهم هذه التمردات :

---

[9] ابن دقماق (إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي)، الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين، تح: سعيد عاشور، مر: أحمد دراج، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ط1، 1982م، ص457.

[10] الأمير سودون بن عبدالله الشيخوني الفخري نائب السلطنة في الدولة المملوكية، واستمر الأمير سودون في هذه النيابة سنين طويلة لايخرج الظاهر برقوق عن رأيه حتى تم عزل الظاهر برقوق عن سلطنته الأولى، وفي سلطنته الثانية رجع إلى نيابة السلطنة وبقي فيها حتى توفي سنة 798هـ/1396م. انظر ابن تغري بردي(جمال الدين أبو المحاسن يوسف)، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تح: محمد أمين، تق: سعيد عاشور، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ط1، 1984م ، ج6، ص104.

[11] الأمير علاء الدين الطنبغا بن عبدالله الجوباني اليلبغاوي، أصله من قبائل الترك من مماليك يلبغا العمري الخاصكي، بعد مقتل يلبغا نفي إلى الكرك ثم توجه بعدها إلى الشام، وفي سلطنة الظاهر برقوق الأولى جعله أمير مجلسه وبعدها تولى نيابة الشام حتى قبض عليه وتوفي سنة 793هـ/1389م. انظر ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج3، ص52، ابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج1، ص348.

[12] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج11، ص186، عبد السيد، قيام دولة المماليك الثانية، ص61، طقوش (محمد سهيل)، تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، دار النفائس، بيروت، لبنان، ط1، 1997م، ص356.

[13] المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج3، ق2، ص479.

[14] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج11، ص231، طقوش، تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، ص356.

[15] يجدر الاشارة هنا إلى أن الاضطرابات التي حدثت في بلاد الشام لم تقتصر على نواب السلطنة المملوكية فحسب، بل تعداها إلى قيام اضطرابات ذات طابع ديني منها ما حدث سنة 784هـ/1382م في دمشق من جانب قاضي قضاة دمشق ابن جماعه، رغم أنها لم تسفر عن شيء بقدر ما كانت تعبر عن موقف معارض للظاهر برقوق الذي طلب من القاضي ابن جماعة أن يسلمه مال تاجر قد مات، فأبى أن يدفع

1- تمرد الطنبغا السلطاني سنة784هـ/1382م:

لم يكن استلام برقوق السلطنة محط قبول جميع الأمراء فمنهم من أطاع واعترف بسلطنة برقوق بدافع الخوف أكثر منه بدافع الإخلاص، ومنهم لم يقبل بسلطنته ولم يحلف له، وخاصة الأمراء الأتراك الذين أدركوا أن وجودهم في الدولة الجركسية ما هو إلا إجراء مؤقت من قبل برقوق لحين تقوية سلطنته، فأخذوا في اتخاذ الاحتياطات اللازمة لتدارك الأمر وأعلنوا التمرد على السلطان برقوق، ومنهم الأمير علاء الدين الطنبغا السلطاني نائب أبلستين[16]، الذي أعلن التمرد على الظاهر برقوق سنة 784هـ/1382م كونه من الأمراء الأتراك الأشرفية الذين رأوا بسياسة برقوق ضد الأتراك الأشرفية طريقاً للقضاء عليهم شيئاً فشيئاً.[17]

فالطنبغا السلطاني حاله حال أي جندي مملوكي في الدولة المملوكية يرى نفسه أحق بالسلطنة من غيره، وقد دفعته الأقدار إلى أن يكون سلطاناً يوماً ماً، استناداً إلى مبدأ المماليك في الحكم للأقوى، فهو لم يقبل حكم برقوق لأنه معروف عند المماليك أنهم كلهم سواسية وكل واحد له الحق في الحكم.

بدأ الأمير الطنبغا السلطاني بتمرده بهجومه على الأمراء الجراكسة في قلعة دارنده[18] فأمسك الأمراء هناك، ووصل الخبر إلى السلطان الظاهر برقوق عن طريق نائب حلب الأمير يلبغا الناصري، لكن محاولته هذه باءت بالفشل سريعاً عندما ركب العساكر الجراكسة الموجودين بمدينة دارنده وأمسكوا رجال الطنبغا وحاصروهم في القلعة، فوجد نفسه في حالة من الضعف والاستسلام دفعته إلى الهرب من القلعة إلى مقر نيابته في أبلستين، ومن هناك توجه مسرعاً إلى بلاد التتار بعدما رفض الترك اليلبغاوية في بلاد الشام تأييده، بدليل أن الأمير يلبغا الناصري نائب حلب لم ينضم إلى الطنبغا السلطاني في حركته هذه بل على العكس كتب إلى الطنبغا يهدده بالزحف على نيابته وعزله إن لم يرجع عن تمرده .[19]

في الواقع إن هذه الثورة إن دلت على شيء فإنها دلت على ما كان في نفوس الأشرفية التركية من الحقد ورغبتهم في الثورة على حكم الجراكسة، وقد عبر عن ذلك الطنبغا السلطاني بصراحة بقوله " لا أكون في دولة حاكمها جركسي"[20]،

له المال وقال القاضي: "ثبت عندي أن له ورثة ولا سبيل أن أدفع المال إلا لورثته"، انظر المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج3، ق2، ص468.

[16] أبلستين: مدينة مشهورة ببلاد الروم، تقع شرقي قيسارية وهي من أهم مدن الثغور في أيام الروم، ونيابتها كانت تقدمة ألف من الأبواب السلطانية بمرسوم شريف، انظر لسترانج (كي)، بلدان الخلافة الشرقية، تر: بشير فرانسيس، كوركيس عواد، مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ط، 1985م، ص178، الحموي (ياقوت بن عبد الله)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1977م، ج1، ص75.

[17] المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج3، ق2، ص481، عبد السيد، قيام دولة المماليك الثانية، ص62.

[18] قلعة دارنده: قلعة من بلاد الثغور والعواصم، نيابتها إما إمرة عشرة أو طبلخاناه وولايتها في الحالتين من نائب حلب. انظر، القلقشندي، صبح الأعشى، ج4، ص228.

[19] الصيرفي(علي بن داوود)، نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، تح: حسن حبشي، دار الكتب العلمية، القاهرة، ط1، 1970م، ج1، ص54، المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج3، ق2، ص482، سليمان(أحمد عبد الكريم)، العنصرية وآثرها في الجيش المملوكي، دار النهضة العربية، القاهرة، ط1، 1988م، ص103، عمر (علي)، دولة الظاهر برقوق وابنه في مصر، شركة نوابغ الفكر، القاهرة، ط1، 2008، ص30.

[20] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج11، ص18.

بالإضافة إلى ذلك فإنها دلت على مدى تفكك المماليك الترك آنذاك حتى أن الطنبغا السلطاني حين شعر بضعف مركزه لعدم مؤازرة نواب بلاد الشام من اليلبغاوية هرب إلى بلاد التتار.[21]

ب- تمرد الخليفة المتوكل العباسي سنة 785هـ/1383م:

منذ أن أصبحت القاهرة مركزاً للخلافة العباسية وضع الظاهر بيبرس البندقداري أسس التعامل مع الخليفة العباسي، وسياسته هذه هي التي أصبحت القاعدة التي اعتمدها سلاطين دولة المماليك فيما بعد في تعاملهم مع الخلفاء فأصبح على الخليفة العباسي أن يفوض الأمور العامة للسلطان، ويدير السلطان كافة شؤون الدولة من الولاية والعزل ومنح الاقطاعات وغيرها من الأمور.[22]

وبالمقابل كانت مهمة الخليفة العباسي تقتصر على منح الشرعية على حكم السلاطين المماليك فقط، وكان من ضمن القاعدة المتبعة لعلاقة السلطان بالخليفة أن لا يتدخل الأخير في الأمور السياسية والصراعات على الحكم بين أمراء المماليك فهم عليهم مبايعة من يطلب منهم مبايعتهم أو من يمتلك القوة الكافية بين الأمراء للاستيلاء على الحكم.[23]

لكن هذا الوضع لم يستمر في عصر دولة المماليك الجراكسة إلى حد ما، فقد شهد هذا العصر تدخلاً واضحاً من قبل بعض الخلفاء العباسيين في الصراعات السياسية بين الأمراء، والمشاركة في الأحداث السياسية المحيطة بهم، ويمكن تفسير هذا الأمر بالضغط والاستبداد الذي لقيه الخلفاء العباسيون خلال عصر دولة المماليك البحرية، وذلك أن بعض الخلفاء وجد الفرصة سانحة للخروج من عزلتهم، والوصول إلى نوع من السلطة يعيد لهم هيبتهم ونفوذهم وسط الصراعات والفتن الداخلية، بالإضافة إلى ما اتصف به سلاطين هذا العصر بالضعف وصغر السن.[24]

كانت أولى هذه المحاولات في عهد السلطان برقوق من قبل الخليفة المتوكل على الله الذي بدأ تمرده بعد عدة شهور من تمرد الطنبغا السلطاني سنة 785هـ/1383م بهدف انتزاع العرش منه، فبينما كان الظاهر مشغولاً بإرساء قواعد حكمه الجديد وصلت إليه الأخبار بوجود مؤامرة دبرها بعض أمراء المماليك ضده بالتعاون مع الخليفة المتوكل، الذي أدرك أنه لا يملك القوة الكافية التي تمكنه من التخلص من السلطان الظاهر برقوق لذلك استعان ببعض الأمراء الأتراك الأشرفية مستغلاً نقمتهم على الجراكسة عموماً، وعلى الظاهر برقوق خصوصاً، بالإضافة إلى دعم عرب البحيرة.[25]

---

[21] ابن المقفع(ساويرس)، تاريخ مصر من خلال مخطوطة تاريخ البطاركة، تحقيق: عبد العزيز جمال الدين، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ط1، 2012م، ج7، ص310.

[22] القلقشندي (أبي العباس أحمد)، صبح الأعشى في كتابة الإنشا، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط1، 1922م، ج3، ص282، كريم (الياس أحمد)، موقف الخلفاء العباسيين في مصر من الصراعات الداخلية عصر المماليك الجراكسة (784-923هـ/1382-1517م)، مجلة سامراء، العراق، المجلد14، العدد57، 2018م، ص642.

[23] ماجد(عبد المنعم)، نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط1، 1964م، ص36.

[24] طرخان ، مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة، ص53، كريم، موقف الخلفاء العباسيين في مصر من الصراعات الداخلية عصر المماليك الجراكسة، ص643.

[25] ابن حجر العسقلاني، انباء الغمر، ج1، ص275، ابن دقماق، الجوهر الثمين، ص458، طقوش، تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، ص357. عبد السيد، قيام دولة المماليك الثانية، ص62. كريم، موقف الخلفاء العباسيين في مصر من الصراعات الداخلية عصر المماليك الجراكسة، ص643.

كانت خطة المتوكل تقوم على الاتفاق مع الأمير قرط بن عمر التركماني[26] المعزول عن الكشوفية[27]، والأمير ابراهيم بن قطلو آقتمر العلائي[28] مع ثمانمائة فارس من الأكراد والتركمان لينقضوا على السلطان الظاهر برقوق يوم السبت عندما ينزل إلى الميدان للعب الكرة كما جرت عادة السلاطين، ومن ثم يقتلون السلطان والأمراء ويصعدون بالخليفة إلى القلعة ليولوه السلطنة، في الوقت الذي كتب فيه الخليفة إلى عرب البحيرة للقيام بالدعوة له.[29]

لكن قدَّر لهذه المؤامرة الفشل حين اكتشفها الظاهر برقوق قبل أن يشرع أصحابها في تنفيذها عن طريق نائب الشام الأمير صلاح الدين بن تنكز، الذي أخبر الظاهر برقوق بخيوط المؤامرة التي أحاكها الخليفة مع الأمراء الأتراك، واستناداً إلى ذلك استدعى السلطان الخليفة والأمير قرط وابراهيم، وبعد التحقيق معهم اعترف الأمير قرط بأن الخليفة طلب منه المساعدة للتخلص من الظاهر برقوق عن طريق جمع فرسان من الأكراد والتركمان لتنفيذ المهمة، وقال له " قد استولوا على هذا الملك بغير رضائي، وإني لم أقلد برقوق أمر السلطنة إلا غصباً" وهذا دليل واضح على أن تقليد الخليفة للسلطان كان أمرا مفروض لا مهرب له ووجود الخليفة بحد ذاته كان أمراً شكلياً في الدولة فقط من أجل كسب الشرعية لسلاطين المماليك.[30]

بعدما سمع السلطان هذا الكلام سأل الخليفة عن جوابه فأصر الخليفة على موقفه مدعياً أن ذلك افتراء عليه، ولكن الأمور لم تجر لصالحه عندما اعترف الأمير ابراهيم على الخليفة مؤكدا صحة تورطه في الإعداد للتمرد، إذ أكد بدوره أن الخليفة استدعاه إلى بيته وطلب منه مساعدته ونصرته على ذلك، الأمر الذي أضعف موقف الخليفة كثيراً، وأثار غضب برقوق على الخليفة وأراد قتله، فحال بينه وبين الخليفة نائبه سودون الشيخوني وأنذر السلطان عاقبة ذلك قائلاً" متى فعلنا ذلك بالخليفة رجمتنا العامة".[31]

استغل برقوق هذه الحادثة وأراد التخلص من الخليفة، وفكر في إيجاد طريقة شرعية تمنحه حق الانتقام منه، فاستدعى القضاة الأربعة وبعض العلماء وطلب منهم فتوى شرعية بقتل الخليفة، لكنهم رفضوا كونه خليفة يحق له تعيين وخلع

---

[26] الأمير قرط بن عمر التركماني: من الأمراء التركمان المستخدمين في الدولة، عمل كاشفاً للصعيد وتولى محاربة أولاد الكنز في نواحي أسوان، ثم أصبح والياً على البحيرة، إلا أنه كان ظلوما غشوما وكثرت شكاوي الرعايا عليه فسجن مدة ثم أطلق سراحه وقتله السلطان برقوق بعد إثبات اشتراكه بالمؤامرة سنة 785هـ/1383م، انظر المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج3، ق2، ص495.

[27] الكشوفية: هي وظيفة الكاشف الذي يشرف على أحوال الأراضي والجسور، لذلك يسمى كاشف الجسور أو كاشف التراب وكان بالوجه القبلي ثلاثة مقرهم الفيوم والصعيد الأدنى والصعيد الأعلى وبالوجه البحري اثنان مقرهم الشرقية والغربية وكان الكاشف من أمراء الطبلخاناه، انظر القلقشندي، صبح الأعشى، ج4، ص25، 65، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج11، ص193، هامش(1).

[28] الأمير صارم الدين ابراهيم بن قطلوآقتمر العلائي، سجن بخزانة شمايل بعد أن شفعوا له الأمراء عند السلطان، وفي سنة 791هـ/1389م قتل في حلب بعد أن انضم إلى تمرد يلبغا الناصري، انظر ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج11، ص283.

[29] العيني (بدر الدين محمود)، السلطان برقوق مؤسس دولة المماليك الجراكسة من خلال مخطوط عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تح: إيمان عمر شكرى، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 2002م، ص72، ابن إياس (محمد بن أحمد الحنفي)، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تح: محمد مصطفى زيادة، مكتبة دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط1، 1975م، ج1، ق1، ص332، ابن حجر العسقلاني، انباء الغمر، ج1، ص275،

[30] المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج3، ق2، ص494، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج11، ص193، طقوش، تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، ص358.

[31] ابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ص275، كريم، موقف الخلفاء العباسيين في مصر من الصراعات الداخلية عصر المماليك الجراكسة، ص643.

السلاطين، فاكتفى السلطان بعزله من الخلافة وسجنه في القلعة ليحل محله عمر بن ابراهيم "عم المتوكل" خليفة وتلقب بالواثق بالله، وحكم بالموت على الأمير قرط والسجن للأمير ابراهيم بعد شفاعة الأمراء له.[32]

على الرغم من تمكن السلطان برقوق من إحباط المؤامرة إلا أن نتائجها كانت خطيرة عندما شرع الظاهر برقوق بالانتقام من المماليك الأتراك الأشرفية من خلال عزل بعضهم من وظائفهم ونفي البعض الآخر إلى بلاد الشام، الأمر الذي كان له أسوأ الأثر والذي ظهر من خلال تمرد الأمير منطاش ويلبغا الناصري.

تمرد الأمير منطاش ويلبغا الناصري:

جلس برقوق على كرسي العرش بتدبير المؤامرات والفتن، ومن ثم وجد الأمراء أن طريق الوصول إلى الحكم هو القيام بالتمرد ورفع راية العصيان وهو الطريق الذي سار عليه الأمير منطاش والأمير يلبغا الناصري، فمن هو الأمير منطاش؟ وهل كتب لهذا التمرد بالنجاح؟ أم كان مصيره مثل التمردات التي سبقته؟

أدت سياسة برقوق العنيفة تجاه الأتراك الأشرفية إلى تمرد كبارهم خارج مصر، ففي سنة 789هـ/1387م ورد البريد إلى السلطان من البلاد الشامية بأن الأمير منطاش[33] نائب ملطية[34] خرج عن طاعة السلطان وأعلن التمرد والعصيان، لكن الأمير منطاش أنكر الأمر وأرسل خبراً إلى السلطان بأنه باق على طاعته، ويبدو أن غايته كانت الانتظار حتى ينقضي فصل الشتاء ليكسب بعض الوقت ويصبح الطريق مفتوحاً إلى مصر، لكن السلطان برقوق كان أكثر دهاء منه إذ سرعان ما أرسل الدوادار تلكتمر[35] إلى حلب لمراقبة تحركات الأمير منطاش وبيان حقيقة الأوضاع.[36]

استنادا إلى المعلومات التي جمعها الأمير ملكتمر فقد تأكد السلطان برقوق من سوء نية منطاش الذي أعلن تمرده سنة 790هـ/1388م بعد أن تجمع لديه عدد كبير من الأتراك الأشرفية، وانضم إليه برهان الدين أحمد "صاحب سيواس"[37] وقرا محمد التركماني "نائب البيرة"[38]، ولم يكتف منطاش بذلك بل استصدر من العلماء والشيوخ في بلاد الشام فتوى لقتال الظاهر برقوق، وقد علم برقوق بأن منطاش قد أرغمهم على كتابة هذه الفتوى ضده.[39]

---

[32] ابن دقماق، الجوهر الثمين، ص45، الصيرفي، نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، ج1، ص71، 72، عبد السيد، قيام دولة المماليك الثانية، ص63، عمر، دولة الظاهر برقوق وابنه في مصر، ص30.

[33] الأمير تمربغا الأفضلي المعروف بمنطاش، من مماليك الأشرف شعبان بن حسين، نفي إلى بلاد الشام بعد مقتل الأشرف شعبان، وبقي بها حتى تسلطن برقوق وطلبه مع مماليك الأشرف شعبان إلى القاهرة، فاشتراه وأعتقه وولاه نيابة ملطية سنة 788هـ/1386م. انظر ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج4، ص94.

[34] ملطية: من بلاد الثغور والعواصم، تقع في شمال حلب، ونيابتها طبلخاناه وتوليتها من الأبواب السلطانية. انظر، القلقشندي، صبح الأعشى، ج4، ص228، لسترانج، بلدان الخلافة الشرقية، ص174.

[35] الأمير سيف الدين تلكتمر الدوادار تولى عدة وظائف في دولة المماليك، كان آخرها صاحب الحجاب، توفي سنة794هـ/1391م، انظر المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج3، ق2، ص776.

[36] المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج3، ق2، ص567، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج11، ص207، ابن حجر العسقلاني، انباء الغمر، ج1، ص332، ابن دقماق، الجوهر الثمين، ص462، عبد السيد، قيام دولة المماليك الثانية، ص65.

[37] سيواس: مدينة بأرض الروم ذات خيرات كثيرة، سكانها من النصارى والمسلمون، والمسلمون من التركمان. انظر القزويني (زكريا بن محمد بن محمود)، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، ط1، 1960م، ص537.

[38] البيرة: قلعة حصينة تقع بالقرب من سمسياط بين حلب والثغور الرومية، انظر الحموي، معجم البلدان، ج1، ص526.

[39] بخيت(فائز علي)، النزاع على السلطة بين المماليك الأتراك والجراكسة، كلية العلوم الاسلامية، جامعة الموصل، المجلد3، العدد5، 2009م، ص93.

ورغم خطورة ثورة منطاش فإن السلطان لم يعرها الاهتمام اللازم، واكتفى في بداية الأمر بإطلاق سراح الأمير يلبغا الناصري الذي كان محتجزا لديه، وإعادته إلى نيابة حلب سنة 789هـ/1387م بعد أن أكرمه وأنعم عليه بالمال والسلاح وقد بالغ في إكرامه[40]، وهنا السؤال الذي يطرح نفسه ما الأسباب التي دفعت برقوق لسجن يلبغا؟ وهل كان توقيت إطلاق سراحه وإعادته إلى نيابة حلب مناسب؟

كان هناك عدة أسباب اجتمعت مع بعضها أدت إلى سوء العلاقة بين السلطان والأمير يلبغا ومنها يعود إلى قبل استلام برقوق السلطنة حين كان يلبغا من كبار أمراء الأتابك يلبغا العمري الخاصكي " أستاذ برقوق" في الوقت الذي كان فيه برقوق من صغار المماليك، وعندما تولى برقوق السلطنة لم يكن يلبغا تجاوز حكم احدى النيابات الخارجية[41]، بالإضافة إلى ذلك عندما نشب القتال بين برقوق الجركسي وبركه التركي وقف يلبغا إلى جانب بركه في القتال كونه تركي، وكان ردة فعل برقوق على هذا أن سجنه ثم أطلق سراحه.[42]

لكن برقوق قام بسجن الأمير يلبغا مرة ثانية في أثناء سلطنته والسبب هذه المرة يعود إلى سنة 787هـ/1385م عندما جاء سولي[43] بن قراجا بن دلغادر التركماني[44] وهو من أعداء الدولة المملوكية إلى حلب طائعاً أثناء نيابة يلبغا على حلب، فأبقاه يلبغا لديه ريثما تصل أوامر السلطان بخصوصه والتي جاءت بالقبض عليه وارساله إلى القاهرة مقيداً ، لكن يلبغا وجد في هذا الأمر إن تم سوف يؤدي إلى هدوء أحوال بلاد الشام، وتوطيد نفوذ برقوق، وبالتالي تفرغه لمواجهة الأتراك الأشرفية والتخلص منهم، لذلك دبر الأمير يلبغا الناصري هروب سولي ليلاً من حلب، فما كان من هذه الأخبار إلا أن تصل إلى الظاهر برقوق الذي اتهم يلبغا بالتواطئ مع أعدائه، لذلك أمر بعزله من نيابة حلب وسجنه في الاسكندريه .[45]

عاد برقوق وأطلق سراح يلبغا سنة 789هـ/1387م عندما تأكد من نوايا منطاش، ولم يكن يهدف برقوق من وراء ذلك سوى الحصول على تأييد المماليك اليلبغاوية له بعد عفوه عن زعيمهم يلبغا الناصري، بالإضافة إلى ذلك من أجل أثارتهم ضد الأتراك الأشرفية ليتحاربوا فيما بينهم، وبالفعل هذا ما حدث عندما توجه الأمير يلبغا بعسكره من حلب لقتال منطاش سنة 790هـ/1388م لكنه بدل أن يتجه إلى منطاش في ملطية فقد اتجه أولا الى سيواس، ويعود تصرفه هذا

---

[40] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج11، ص206، العيني، عقد الجمان، السلطان برقوق، ص73، عبد السيد، قيام دولة المماليك الثانية، ص65، ابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج1، ص328.

[41] طراخان، مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة، ص15، هامش(1)

[42] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج11، ص146، 148، عبد السيد، قيام دولة المماليك الثانية، ص52، ابن اياس، بدائع الزهور، ج1، ق2، ص258.

[43] سولي بن قراجا بن دلغادر التركماني: كان موصوفاً بالشجاعة وجودة الرأي، ولى نيابة أبلستين ومرعش بعد أخيه خليل، واعتقل مره بحلب وقتل على فراشه سنة 800هـ/1397م. انظر ابن حجر العسقلاني (شهاب الدين أحمد)، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، دار الجبل، بيروت، ط1، 1993م، ج2، ص179.

[44] إمارة دلغادر التركماني: إمارة أسسها التركمان بعد هجرتهم نحو الأناضول بعد الغزو المغولي بقيادة أميرها دلغادر الذي تنسب إليه. انظر الحديدي(فائز علي بخيت)، العلاقات المصرية الأوروبية في عصر المماليك الجراكسة دراسة سياسية اقتصادية، اطروحة دكتوراه، جامعة الموصل 2005م، ص28، طقوش، تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، ص358.

[45] المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج3، ق2، ص531، ابن اياس، بدائع الزهور، ج1، ق2، ص359، طقوش، تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، ص358، عمر، دولة الظاهر برقوق وابنه في مصر، ص31، عبد السيد، قيام دولة المماليك الثانية، ص63.

إلى رغبته بتحقيق هدفه بإعادة السلطنة إلى الأتراك عن طريق كسب ود منطاش إلى جانبه مستغلا ماتجمع حوله من المماليك الاتراك الاشرفية المنفيين في بلاد الشام.[46]

حاصرت العساكر الحلبية سيواس وجرت حروب عديدة بين الطرفين حتى أعلن صاحبها الطاعة التي اكتفى بها يلبغا على الرغم من قدرته على الاستيلاء عليها وهذا ما أكده العيني في قوله" لقد أخبرني من أثق به ممن شهد هذه الوقعة أن العسكر السلطاني كانوا يأخذون سيواس مثل شرب الماء لولا مكر يلبغا الناصري"[47] وهذا ما زاد تخوف برقوق من نوايا يلبغا الذي كان يعد العدة للثورة على السلطان منذ عودته إلى نيابة حلب، ومما يؤكد ذلك أن السلطان برقوق حين أدرك ما يفكر به يلبغا من الثورة عليه، أرسل يستدعيه للحضور إلى مصر مع هدية قيمة من خيول وبعض الأقمشة النادرة للتخلص منه، الأمر الذي أدركه يلبغا وكان متيقظاً اليه خاصة بعد سلسلة من الاعتقالات الي قام بها برقوق والتي طالت كبار الأتراك الأشرفية منهم الأمير الطنبغا الجوباني[48] نائب الشام الذي اعتقله بحجة إكثاره من شراء المماليك وكذلك نائب طرابلس الأمير كمشبغا الحموي[49] الأمر الذي زاد من تخوف يلبغا فسارع بالاعتذار من السلطان بعدم حضوره بحجة انشغاله في القضاء على تمرد منطاش.[50]

إزاء هذه الأحداث لم يجد يلبغا بداً من التحالف بين صفوف الترك من أشرفية ويلبغاوية في هيئة تمرد كبير لمواجهة السلطان برقوق سنة 791هـ/1389م، حين راسل منطاش سراً وشجعه على الاستمرار بتمرده والدخول تحت طاعته، وهذا ما أكده ابن صصري في مؤلفه " الدرة المضيئة في الدولة الظاهرية" حين أرسل يلبغا إلى منطاش" إنك تقوم وتجي إلى عندنا ولك من ماتريد"[51]، ونصحه بالاحتماء بحماه لميل أهلها إلى الأتراك.[52]

وبعد أن أستوثق يلبغا من قوته وقوة أنصاره استولى على قلعة حلب ودخل في طاعته نواب البلاد الشامية باستثناء قلعة دمشق ونيابة الكرك، وانضم إليه كذلك سولي بن دلغادر التركماني ونعير أمير عربان الشام[53]، وفي هذا السياق يروي

---

[46] ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج4، ص 95، ابن اياس، بدائع الزهور، ج1، ق2، ص388، الصيرفي، نزهة النفوس والأبدان، ج1، ص171، العيني، السلطان برقوق، ص73، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج11، ص207، عمر، دولة الظاهر برقوق وابنه في مصر، ص32، طقوش، تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، ص362، سليمان، العنصرية في الجيش المملوكي، ص105، عبد السيد، قيام دولة المماليك الثانية، ص70.

[47] العيني، عقد الجمان، السلطان برقوق، ص74.

[48] الأمير علاء الدين الطنبغا بن عبدالله الجوباني اليلبغاوي، أصله من قبائل الترك من مماليك يلبغا العمري الخاصكي، بعد مقتل يلبغا نفي إلى الكرك ثم توجه بعدها إلى الشام، وفي سلطنة الظاهر برقوق الأولى جعله أمير مجلسه وبعدها تولى نيابة الشام حتى قبض عليه وتوفي سنة 793هـ/1389م. انظر ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج3، ص52، ابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج1، ص348.

[49] الأمير كمشبغا بن عبدالله الحموي اليلبغاوي من كبار المماليك التركية وأتابك العسكر المنصورة، توفي سنة 801 هـ/1398م، انظر الصيرفي، نزهة النفوس والأبدان، ج2، ص301. ابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج1، ص349.

[50] ابن دقماق، الجوهر الثمين، ص464، المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج3، ق2، ص579، 584، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج11، ص209، العيني، عقد الجمان، السلطان برقوق، ص74، طقوش، تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، ص360، الصيرفي، نزهة النفوس والأبدان، ج1، ص176، طراخان، مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة، ص16.

[51] ابن صصري (محمد بن محمد)، الدرة المضيئة في الدولة الظاهرية، تحقيق: وليم م. برينر، جامعة كاليفورنيا، 1963م، ص3،

[52] المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج3، ق2، ص596، طقوش، تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، ص360.

[53] الصيرفي، نزهة النفوس والأبدان، ج1، ص189، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج11، ص213، العيني، عقد الجمان، السلطان برقوق، ص75، ابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج1، ص365، عمر، دولة الظاهر برقوق وابنه في مصر، ص32، طراخان، مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة، ص16، عبد السيد، قيام دولة المماليك الثانية، ص68.

لنا ابن صصري بأن الظاهر برقوق قد استدعى الأمير أيتمش البجاسي والأمير يونس الدوادار وحملهم مسؤولية تمرد يلبغا بقوله" أنتم ضمنتم الناصري، وقلتم ما يحدث منه حادث حتى أطلقته، وقد جرى منه ماجرى"[54]. وعندما علم برقوق بتحالف الأمير منطاش مع الناصري كتب للأمير إينال اليوسفي الجركس في سنة 791هـ/1388م تقليده نيابة حلب، وأمره بالقبض على الأمير يلبغا الناصري، ولكن إينال اليوسفي تذكر ما حدث له على يد السلطان برقوق من قبل ذلك من الاعتقال والعزل، فلم ينفذ أوامر السلطان.[55]

أمام هذا التدهور الذي وصلت إليه الدولة حاول برقوق تدارك الموقف عن طريق إرسال جيش من القاهرة سنة 791هـ/1389م إلى دمشق بقيادة الأمير إيتمش البجاسي ومعه الأمير جركس الخليلي و الأمير يونس الدوادار لمواجهة تمرد يلبغا ومنطاش، وقد اجتمع الجيش في خانقاه مصر أربعة أيام، واتفقوا الأمراء كلهم بعدم توجهم إلى الشام إلا والسلطان برقوق على رأس الجيش، ويروي لنا ابن صصري بأن الأمر صعب على السلطان وقال" أنا ما أروح إلى الشام" فتدخل القضاة والكبار بينهم حتى حلوا الأمر ببقاء السلطان في القاهرة، وهذا دليل واضح على ضعف موقف السلطان برقوق وعلى مدى تعاظم شأن هؤلاء الأمراء لأنهم لم يأخذوا أوامره على محمل الجد ولم ينفذوها دون اعتراض، بل على العكس فقد اعترضوا عليها واشترطوا على السلطان قدومه معهم.[56]

ومن أجل إنجاح الحملة والقضاء على المتمردين الأتراك أمر السلطان برقوق بتوزيع مبلغاً من المال عليهم، حيث منح الأتابك ايتمش عشرة آلاف دينار ومائتي ألف درهم فضة، ولأمراء الألوف خمسة آلاف دينار ومائة ألف درهم، وباقي الأمراء ألف دينار وخمسين ألف درهم فضة فضلاً عن الجمال والخيول، وهذا يدل على أن هذه النفقة شكلت مبلغاً كبيراً من ميزانية الدولة، وبالتالي هي تعكس مدى خشية الجراكسة عامة والسلطان برقوق خاصة على منصب السلطنة، لذا لم يكن سخاؤه إلا حفاظاً على ذلك المنصب والتخلص من الأتراك المتمردين[57]. وعلى الرغم من توجه الجيش إلى الشام من أجل القضاء على تمرد يلبغا ومنطاش إلا أنه أضاع هدفه وبدأ بإفساد كثير من المزارع التي مر بها، وتعرضت العديد من القرى الواقعة على الطريق المؤدي إلى الشام للخراب، مما أثار سخط عامة أهالي دمشق ضد السلطان وقواته، فاستغل يلبغا فرصة انهماك العساكر بالسلب والنهب وتقدم بعساكره صوبها واشتبكا الجيشين عند خان لاجين في معركة طاحنة انتهت بانتصار يلبغا الناصري.[58]

ترتب على هزيمة خان لاجين عدة أمور منها دخول يلبغا إلى دمشق وسيطر على قلعتها إثر وقوع خيانة في صفوف الجيش السلطاني عندما انسحبوا من جيش السلطان وانضموا إلى جيش يلبغا، بالإضافة إلى الغنائم التي غنمها يلبغا من جيش السلطان الذي ترك كل ماكان معه من غنيمة لجيش يلبغا ومنطاش، كذلك خسر السلطان في هذه المعركة

[54] ابن صصري، الدرة المضيئة في الدولة الظاهرية، ص6.

[55] الناطور، دولة المماليك في عهد السلطان الظاهر برقوق، ص37.

[56] ابن صصري، الدرة المضيئة في الدولة الظاهرية، ص6.

[57] المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج3، ق2، ص593، بخيت، النزاع على السلطة بين المماليك الأتراك والجراكسة، ص95.

[58] ابن دقماق، الجوهر الثمين، ص466، الصيرفي، نزهة النفوس والأبدان، ج1، ص192، المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج3، ق2، ص598، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج11، ص218، العيني، عقد الجمان، السلطان برقوق، ص75، سليمان، العنصرية في الجيش المملوكي، ص107.

أهم قادته وهم وجركس الخليلي الذي قتل في المعركة ويونس الدوادار الذي قتل على يد اللصوص في إحدى قرى دمشق.[59]

بعد وصول خبر الهزيمة إلى القاهرة وجد برقوق نفسه في موقف محرج ومشوش غير قادر على اتخاذ القرار المناسب لمواجهة هذه الأوضاع، فمن جهة رأى أن يجهز حملة أخرى يرسلها إلى الشام أكثر قوة من الحملة الماضية، ومن جهة أخرى يبقى في القاهرة وينتظر قدوم جيش يلبغا بعد أن يأخذ الاحتياطات اللازمة ، ومما زاد في حرج وضع السلطان تفشي وباء الطاعون في البلاد وارتفاع الأسعار نظراً لحاجته المستمرة إلى المال للتجهيز وإقبال الناس على شراء الاحتياجات الضرورية استعداداً لحصار جيش يلبغا للقاهرة الذي ما إن وصل إلى مشارف القاهرة حتى أخذ كثير من الأمراء والمماليك بالتسرب والانضمام إلى جيشه، ولم يبق عند السلطان إلا عدد قليل من الأمراء والمماليك الخاصكية، فأراد السلطان أن يسلم نفسه لكن منعوه من ذلك أمرائه.[60]

سرعان ما أيقن برقوق بزوال أمره عندما رجمت العامة مماليكه وتوجهت للانضمام إلى يلبغا على الرغم من الأموال التي أنفقها فيهم والمكوس الكثيرة التي ابطلها كالتي كانت تؤخذ على القمح وعلى الملح، ومنها ما كان يؤخذ على الرقيق[61]، وبعد مناوشات يائسة تفرق أنصار برقوق عنه ولم يبق أمامه سوى طلب الأمان، فأرسل النمجاة[62] إلى الناصري وطلب الصلح، فرد عليه يلبغا رداً كريما بقوله "الملك الظاهر برقوق أخونا وخوشداشنا، ولكنه يختفي بمكان إلى أن تخمد الفتنة، فإن كل واحد له رأي وكلام حتى ندبر له أمراً يكون فيه نجاته".[63]

عقب هذا النصر عقد الأمير يلبغا الناصري اجتماعا ضم أمرائه وأعيانه والخليفة والقضاة للتشاور في مصير السلطنة بعد انتصارهم على برقوق، فأشار بعض الحاضرون بأن يلبغا هو الشخص المناسب لهذا المنصب لدوره الفعال في القضاء على سلطنة برقوق كونه قائد التمرد الكبير وصاحب النفوذ، لكن أحس يلبغا بمعارضة عدد من الأمراء الأتراك الأشرفية القادمين من الشام وعلى رأسهم منطاش بسبب الطمع على السلطة، وكثرة ومعارضة المماليك الجراكسة، بالإضافة إلى الفوضى التي تعيشها البلاد بسبب فساد التركمان وانتشار الطاعون، ولذلك نجده تراجع عن السلطنة وأبدى نوعا من الحكمة باختيار السلطان حاجي بن الأشرف شعبان المخلوع بحجة أن الظاهر برقوق عزله من السلطة بغير حق، وهو الأحق بها بصفته فرداً من آل قلاوون، فاستدعوه واركبوه شعار السلطنة سنة 791هـ/1389م ، وبعودة

---

[59] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج11، ص218، العيني، عقد الجمان، السلطان برقوق، ص75، طقوش، تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، ص362، الحازمي (نوف محمد)، أثر الأوضاع الدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية على الحياة العلمية في عهد المماليك الجراكسة في مصر، رسالة ماجستير في جامعة أم القرى، السعودية، 2010م، ص191.

[60] ابن دقماق، الجوهر الثمين، ص468، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج11، ص227، الصيرفي، نزهة النفوس والأبدان، ج1، ص206، العيني، عقد الجمان، السلطان برقوق، ص76، طراخان، مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة، ص17، عبد السيد، قيام دولة المماليك الثانية، ص74.

[61] المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج3، ق2، ص616، ابن دقماق، الجوهر الثمين، ص466، هامش(3).

[62] النمجاة : شارة من شارات السلطنة، وهي خنجر مقوس يشبه السيف القصير، انظر المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج1، ص852، طراخان، مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة، ص18.

[63] ابن إياس، بدائع الزهور، ج1، ق2، ص273، الصيرفي، نزهة النفوس والأبدان، ج1، ص210، طراخان، مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة، ص18.

السلطان حاجي إلى العرش أصبح يلبغا أتابكاً للعسكر في الدولة المملوكية، أي عودة عصر نفوذ الأمراء من جديد، وغدت السلطنة وظيفة اسمية في هذه الفترة حين أصبح يلبغا صاحب النفوذ المطلق في الدولة.[64]

خاتمة:

يمكن القول من خلال هذه الأحداث أنه على الرغم من كل تلك الاجراءات التي اتخذها الجراكسة للحفاظ على استمرار منصب السلطنة في أيديهم، ومنع الأتراك من الاستيلاء عليه، إلا أن سير الأحداث كان لصالح الأتراك فبوصولهم إلى مشارف القاهرة بدأ القادة الجراكسة ينسحبون سرا متوجهين إلى جيش الأتراك، وبهذا الموقف الصعب ذهبت أحلام الجراكسة في البقاء في السلطنة أدراج الرياح، وعلى رأسهم الظاهر برقوق الذي لم ينفعه كل ما بذل من مال وجهود من أجل الحفاظ على السلطنة، ويصف المؤرخ المقريزي موقف السلطان الظاهر برقوق في أيامه الأخيرة في السلطنة قائلاً" ظهر من جزع السلطان وبكائه ما أبكى الناس شفقة ورحمة ".

Reference:

[64] المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج3، ق2، ص623، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج11، ص262، عبد السيد، قيام دولة المماليك الثانية، ص77، طراخان، مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة، ص19، طقوش، تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، ص364.

1-Ibn al-Muqafa (Sawiris), the history of Egypt through the manuscript of the history of the patriarchs, by: Abdel Aziz Gamal El-Din, The General Authority of Cultural Palaces, Cairo, 1st floor, 2012 AD..
2-Ibn Duqmaq (Ibrahim bin Muhammad bin Aydamer Al-Ala'i), the precious substance in the functioning of the caliphs, kings and sultans, Tah: Saeed Abdul-Fattah Ashour, passed by: Ahmed Al-Sayyid Daraj, Center for Scientific Research and the Revival of Islamic Heritage, Umm Al-Qura University, Saudi, I 1, 1982 AD
3-Ibn Hajar Al-Asqalani (Shihab Al-Din Ahmad): News of Immersion in the Sons of Age in History, Dar Al-Kutub Al-Alami, Beirut, 1986 AD.
-Ibn Hajar al-Asqalani (Shihab al-Din Ahmad), the pearls inherent in the notables of the eight hundred, Dar al-Jabal, Beirut, I 1, 1993 AD.
4-Ibn Iyas (Muhammad Ibn Ahmad Al-Hanafi, Bada'i al-Zuhur in Waqih al-Dahur, Tah: Muhammad Mustafa Ziyada, Library of the Arab Books Revival House, Cairo, I 1, 1975 AD.
5-Ibn Sasri (Muhammad bin Muhammad), the bright dura in the virtual state, an investigation: William M. Brenner, University of California, 1963.
6-Ibn Taghry Bardi (Jamal Al-Din Abu Al-Mahasin), the bright stars in the kings of Egypt and Cairo, Tah: Muhammad Hassan Shams Al-Din, Dar Al-Kutub Al-Alami, Beirut, Lebanon, 1992 AD.
-Ibn Taghry Bardi (Jamal Al-Din Abu Al-Mahasin), Al-Manhal Al-Safi and Al-Matoufi after Al-Wafi, Open: Muhammad Amin, Taq: Saeed Ashour, The Egyptian Book Authority, Cairo, 1st edition, 1984 AD,
-Ibn Taghry Bardi (Jamal Al-Din Abu Al-Mahasin Yusef), The Evidence of Evidence for Al-Manhal Al-Safi, Tah: Fahim Muhammad Shaltout, Dar Al-Kutub Al-Masria, Cairo, 2nd Edition, 1998 AD, ,
7-Al-Ainy (Badr Al-Din Mahmoud), Sultan Barquq, founder of the Circassian Mamluk state through the manuscript of the Joman contract in the history of the people of time, Tah: Iman Omar Shukry, Madbouly Library, Cairo, I 1, 2002 AD.
8-Al-Hamwi (Yacout Bin Abdullah), A Dictionary of Countries, Dar Sader, Beirut, Lebanon, 1st edition, 1977 AD.
9-Al-Maqrizi (Taqi al-Din Ahmad), Behavior to Know the Countries of the Kings, Opened: Muhammad Mustafa Ziyada, Dar Al-Kutub Al-Masria, Cairo, I 1, 1936
10-Al-Qalqashandi (Abi Al-Abbas Ahmad), Subh Al-Aasha in Writing Al-Insha, The Egyptian Book House, Cairo, I 1, 1922 AD
11-Al-Qazwini (Zakaria bin Muhammad bin Mahmoud), Antiquities of the Country and News of the Servants, Dar Sader, Beirut, 1st floor, 1960 AD.
12-Al-Sairafi (Ali bin Dawood), the picnic of souls and bodies in the dates of time, Tah: Hassan Habashi, Dar Al-Kutub Al-Alami, Cairo, I 1, 1970
1-Abd-Sayed (Hakam Amin), the establishment of the second state of the Mamluks, the National House for Printing and Publishing, Cairo, 1966.7 AD
2-Al-Hadidi (Faiz Ali Bakhit), Egyptian-European Relations in the Age of Circassian Mamluks, Political-Economic Study, PhD thesis, University of Mosul, 2005 AD
3-Al-Hazmi (Nouf Muhammad), The Impact of Religious, Political, Economic and Social Conditions on Scientific Life in the Era of the Circassian Mamluks in Egypt, MA Thesis at Umm Al-Qura University, Saudi Arabia, 2010
4-Al-Natour (Hussam Muhammad Ismail), the Mamluk state during the reign of Sultan Al-Zahir Barquq, University of Jordan, 1998AD..

5-Bakhit (Fayez Ali), Conflict over Power between the Turkish Mamluk and the Circassians, College of Islamic Sciences, University of Mosul, Volume 3, Issue 5, 2009 AD.
6-Karim (Elias Ahmed), The position of the Abbasid caliphs in Egypt on internal conflicts, the era of the Circassian Mamluks (784-923 AH / 1382-1517 AD), Samarra Magazine, Iraq, Volume 14, No. 57, 2018AD,
7-Lestrang (Key), Eastern Caliphate Countries, see: Bashir Francis, Corkis Awad, Al-Resala Foundation, Beirut, Dr. I, 1985AD
8-Majid (Abdel Moneim), organized by the Mamluk Sultans state and their drawings in Egypt, the Anglo Egyptian Library, Cairo, i 1, 1964 AD.
9-Omar (Ali), the state of Al-Zahir Barquq and his son in Egypt, The Geniuses of Thought Company, Cairo, 1st floor, 2008AD..
10-Suleiman (Ahmed Abdel Karim), Racism and its impact on the Mamluk Army, Arab Renaissance House, Cairo, I 1, 1988 AD.
11-Tarkhan (Ibrahim), Egypt in the era of the Circassian Mamluks, the Egyptian Renaissance Library, Cairo, 1960AD.
12-Taqosh (Muhammad Suhail), History of the Mamluks in Egypt and the Levant, Dar Al-Nafees, Beirut, Lebanon, 1st edition1997 AD.